إيران وجماعة الحوثي:
علاقة محفوفة بالمخاطر

عاتق جار الله*

* باحث، اليمن.

ملخص: تركّز هذه الدراسة على تفسير العلاقة بين إيران وجماعة الحوثي من حيث المنطلقات والأبعاد، من خلال تعرّف إستراتيجيتها وأدواتها وأهدافها، والسياق العام الذي برزت في إطاره، وكذلك تعيين أهم محددات السياسة الإيرانية في اليمن. تستمد هذه الدراسة أهميتها من الدور المهمّ الذي باتت تمارسه جماعة الحوثي في البحر الأحمر بعد أحداث السابع من أكتوبر 2023، وارتباط ذلك بالصراع الحاد الذي تشهده المنطقة.

الكلمات المفتاحية: اليمن، إيران، الحوثي، العلاقات الإقليمية.

Iran and Al-Houthi
A Risky Relationship

ATİQ JARALLAH*

ORCID NO :0000-0003-3888-529X

*Researcher, Yemen.

ABSTRACT: *This study focuses on interpreting the dimensions and starting points of the relationship between Iran and the Houthi group, by identifying its strategies, tools, and goals, and the general context within which it was created, as well as identifying the most important determinants of Iranian policy in Yemen. This study derives its importance from the importance of the role played by the Houthi group in the Red Sea after the events of October 7, 2023, and its connection to the severe conflict taking place in the region.*

رؤيـــة تركيـــة
2024-(2/13)
97 - 110

Keywords: *Yemen, Iran, Houthis, Regional Relations.*

DOI:10.36360/1560-013-002-007

مدخل

تصطحب إيران في علاقتها الخارجية عددًا من المقومات الأساسية، على رأسها نظرية «ولاية الفقيه» التي تُعَدّ فكرة عابرة للحدود الإيرانية، وترتبط بالجغرافيا الشيعية أينما كانت، وتحاول استمالة الأقليات الشيعية في الدول الأخرى؛ للارتباط بمركزية ولاية الفقيه، بالإضافة إلى موقعها الإستراتيجي الذي يمكّنها من أداء أدوار متعددة. إضافة إلى ذلك يأتي الموروث التاريخي وطموح الهيمنة، كأحد أهم الدوافع الإيرانية، ويظهر ذلك بشكل متكرر في تصريحات بعض القادة والمسؤولين الإيرانيين حول التذكير بالتاريخ الإمبراطوري القديم لبلادهم في معرض المفاخرة بامتداد نفوذ بلاده في المنطقة.

كما يأتي البعد الجيوسياسي ليوضح أهمية إيران في المنطقة، فإيران تقع بين دول القوقاز وبحر الخزر وآسيا الوسطى من الشمال، ودول الخليج من الجنوب، وتربط بين آسيا وأوروبا، كما أنها تربط كذلك المحيط الأطلسي بالهندي، وتطل على عدد من المسطحات المائية، وهذا الموقع أتاح لها التأثير في صادرات النفط، وبناء القواعد البحرية، وحفزها على التمدد الخارجي والاضطلاع بأدوار إقليمية كبيرة.

بناء على ذلك، برزت عدد من النظريات الجيوبوليتيكية التي تؤسس للمركزية الإيرانية في المنطقة، وبعضها قريبة من الصيغة التي طرحها المفكر الإستراتيجي «هالفورد جون ماكيندر» عندما صاغ نظرية قلب الأرض، التي تتكون من نقطة مركزية هي أوراسيا، وتحيط بها مجالات حيوية أخرى مرتبطة بها، ومن أقرب النظريات الإيرانية القريبة من هذا الطرح، نظرية «دولة أم القرى» التي طرحها محمد جواد لاريجاني، ويرى فيها أنَّ إيران تشكل الركيزة الأساسية للعالم الشيعي، ويشكل هذا التوجه هدفًا إستراتيجيًّا تسعى إيران لتحقيقه، فحتى فكرة ولاية الفقيه هنا تأتي ضمن سياق إستراتيجي يهدف إلى إيجاد حالة ربط بين فكرة المركزية الشيعية العالمية- إيران، ومركزية صنع القرار- ولاية الفقيه، الذي يمثل مركز الشرعية السياسية في العالم الإسلامي الشيعي، مستندة في ذلك إلى الظروف التاريخية والسياسية التي مرت بها أيديولوجيا الإسلام السياسي الشيعي في إيران[1].

لأجل ذلك تحاول إيران امتلاك أكبر عدد من الأوراق والأدوات بوصفها وسائل ضغط إقليمية ودولية، وتنطلق في علاقتها بالأطراف الإقليمية من هذه الدوافع الإستراتيجية، ففي اليمن يشكل الموقع الجغرافي الإستراتيجي لليمن المطل على مضيق باب المندب، أهمية كبيرة للملاحة الدولية، وهذا يدفع إيران إلى تعزيز علاقتها بجماعة الحوثي. في المقابل فإن جماعة الحوثي تبحث عن الدعم السياسي والعسكري واللوجستي؛ لتحقيق

طموحها في الوصول إلى الحكم، وقد ساعدت علاقتها بإيران في تأمين جزء كبير من هذا الدعم.

لهذا تأتي هذه الدراسة لتركز على تفسير منطلقات العلاقة بين إيران وجماعة الحوثي أبعادها، من خلال تعرّف إستراتيجيتها وأدواتها وأهدافها، والسياق العام الذي ظهرت في إطاره، وكذلك تحديد أهم محددات السياسة الإيرانية في اليمن. وتستمد هذه الدراسة قيمتها من أهمية الدور الذي باتت تمارسه جماعة الحوثي في البحر الأحمر بعد أحداث السابع من أكتوبر 2023، وارتباط ذلك بالصراع الحاد الذي تشهده المنطقة.

أولاً: مراحل تطور العلاقة بين إيران وجماعة الحوثي

تمتلك إيران مقومات القوة الحضارية والعسكرية والجيوسياسية، والقدرة على التأثير الخارجي، وهذا الأمر يجعل منها قوة إقليمية ومركزًا للمجموعات الشيعية في المنطقة، وقد مرت في علاقتها بجماعة الحوثي خلال القرن الحالي بأربع مراحل مركزية، ولكل مرحلة معطياتها الخاصة:

المرحلة الأولى: التموضع الناعم

وهي المرحلة التي استمرت منذ بداية القرن الحالي حتى انطلاق الحروب بين نظام علي عبد الله صالح وجماعة الحوثي في عام 2003، وفي هذه الفترة كانت الحكومة اليمنية تعيش حالة من الانسداد السياسي، والصراع مع بقية المكونات السياسية حول شكل النظام القادم، وشروط نزاهة الانتخابات. وعلى المستوى الإقليمي شكل سقوط النظام العراقي في عام 2003، انفراجة سياسية لإيران، وفتحَ المجال لمشروعها في المنطقة.

مثّلت هذه الظروف والتحولات التي مرّ بها اليمن في تلك الفترة فرصة لإيران؛ «لإقامة شراكات مع الفاعلين دون الدول (الفاعلين غير الرسميين)، وخصوصًا الجماعات الرافضة للأوضاع القائمة سواء على المستوى المحلي، نتيجة تصور أنها مهمّشة سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا، أو أن نصيبها من النفوذ والسلطة لا يلبي طموحاتها السياسية، أو على المستوى الإقليمي، نتيجةً لعدم رضا هذه الجماعات عن التوازنات الإقليمية القائمة؛ لتصورها أن هذه التوازنات تميل بشدة لصالح من تعدّهم خصومًا لها، والمتمثلين في الحلفاء الإقليميين للولايات المتحدة الأمريكية»[2].

المرحلة الثانية: الاقتراب السياسي والعسكري

مثّلت الحروب الستّ التي اندلعت بين الحكومة اليمنية وجماعة الحوثي في الفترة ما بين (2004–2010) تدشينًا لعلاقة جديدة بين الجماعة وإيران، واتضحت مع الجولة الأولى من الحرب الاتجاهات الفكرية والمذهبية للمشروع الحوثي، ومع الجولات الخمس الأخرى، تجلت بعض تفصيلات هذا المشروع، وتبين وجود صلات فكرية وسياسية وعسكرية قوية بين الحوثيين وإيران[3].

في هذه الفترة اتهمت الحكومة اليمنية إيران بتقديم الدعم المتعدد لجماعة الحوثي، عسكريًّا عن طريق الإمداد بالأسلحة، وماليًّا من خلال تقديم الدعم المالي للجماعة لشراء السلاح من السوق السوداء، كما أمدتهم بمدربين من الحرس الثوري، وساعدتهم في امتلاك وسائل التعبئة المعنوية، مثل تقديم أفلام عن الحرب العراقية الإيرانية، وأفلام عن مقتل الحسين[4].

المرحلة الثالثة: التموضع السياسي والعسكري

تمتد هذه المرحلة ما بين احتجاجات فبراير 2011، والانقلاب الحوثي في عام 2014، وهي مرحلة انكشفت فيها الأدوات العسكرية والاستخباراتية الإيرانية، حيث استغل الإيرانيون انشغال الأطراف اليمنية حول شكل الدولة ودستورها، وعملوا على مسارين؛ الأول يتعلق بتقريب وجهات النظر بين الرئيس اليمني الأسبق علي عبد الله صالح من جهة، وجماعة الحوثي من جهة أخرى، من أجل الوقوف ضد ما تسعى له الأطراف اليمنية الأخرى، خصوصًا ما يتعلق بتنفيذ مخرجات الحوار الوطني الشامل، مستغلين طموح «صالح» في العودة إلى السلطة وتخوفه من قانون العدالة الانتقالية، وفي الوقت ذاته كثفت وحدات التهريب الإيرانية التابعة لفيلق القدس، من تعزيز وجودها العسكري في اليمن؛ من خلال إرسال خبراء وخلايا تجسس[5]، فضلاً عن إرسال شحنات عسكرية لتعزيز قدرات جماعة الحوثي العسكرية، ومنها سفينة (جيهان واحد) الشهيرة التي كانت الحكومة اليمنية قد ألقت القبض عليها عام 2012، وعلى متنها عشرات الأطنان من الأسلحة المتطورة القادرة على إسقاط طائرات عسكرية ومدنية، بالإضافة إلى مادَّتَي (السي فور، والسوربتول) شديدتي الانفجار اللتين تُخلَطان مع مواد أخرى لصناعة القنابل والأحزمة الناسفة والعبوات المتفجرة[6].

في هذه الفترة كذلك عملت إيران على دعوة بعض شباب فبراير إلى إيران، أو عقد المؤتمرات المؤيدة للثوة في بيروت، وبعد التوقيع على المبادرة الخليجية 2012، تبنى

الفصيل الحوثي الصوت المعارض لهذه المبادرة، وبهذا مثّل صوت المعارضة في الفترة التي تلت التوقيع على المبادرة الخليجية، واستثمر في أخطاء شركاء الحكم، وقيادة احتجاجات عسكرية ضد الحكومة، كانت محصلتها سقوط صنعاء بيد الحوثي في 21 مارس/آذار 2014، ولم يسمح هذا الانقلاب بتدشين النظام الاتحادي، وتنفيذ مخرجات الحوار الوطني، وبذلك دخل النفوذ الإيراني مرحلة جديدة.

> "استغلت إيران حالة ضعف الدولة اليمنية والاختلاف السياسي الداخلي وغياب المشروعات الإستراتيجية للدول المجاورة ولاسيما دول الخليج فضلاً عن الدعم الذي قدمته الولايات المتحدة الأمريكية لها"

المرحلة الرابعة: الاستقواء والسيطرة

وهي المرحلة التي تلت الانقلاب الحوثي في عام 2014، وبهذا الانقلاب شعرت إيران أنها حقّقت هدفها في اليمن، ولاسيما المحافظات الشمالية، وصار بعض المسؤولين الإيرانيين يرددون أن صنعاء أصبحت العاصمة العربية الرابعة التي تقع تحت نفوذها بعد بغداد وبيروت ودمشق، ووجدت السعودية في هذا التوجه الإيراني تهديدًا لأمنها الإقليمي وتهديدًا للملاحة الدولية، وهذا دفعها إلى إطلاق عاصفة الحزم، والدخول في صراع عسكري مباشر مع جماعة الحوثي.

ثانيًا: عوامل تعزيز العلاقة بين إيران وجماعة الحوثي

استغلت إيران حالة ضعف الدولة اليمنية، والاختلاف السياسي الداخلي، وغياب المشروعات الإستراتيجية للدول المجاورة، ولاسيما دول الخليج، فضلاً عن الدعم الذي قدمته الولايات المتحدة الأمريكية لها في أثناء ولايتَي الرئيس أوباما وسلفه جورج دبليو بوش، وعملت على توسيع نفوذها في اليمن:

1 - صراع النخب وقابلية الدولة للاختراق

بقيام الوحدة بين شطري اليمن في مايو/أيار عام 1990 توفرت لليمن بعض مصادر القوة، لكن لسوء حظ اليمن أيضًا لم يمضِ وقت طويل على قيام الوحدة حتى برزت أزمة ثقة بين طرفي الاتفاق؛ الرئيس علي صالح ونائبه علي سالم البيض، وسرعان ما تحولت إلى أزمة بين الحزبين الحاكمين آنذاك؛ المؤتمر الشعبي العام والحزب الاشتراكي اليمني، وانزلقت بسببها البلاد إلى حرب أهلية، كانت هذه الحرب أحد الأسباب الرئيسة التي أنتجت فيما بعد ما يُعرَف بأزمة القضية الجنوبية، وظهور فصائل الحراك الجنوبي، التي يطالب بعضها بإعادة النظر في الوحدة القائمة، وبعضها الآخر-وهو الأكثر نفوذًا- يطالب بالانفصال.

وفي فترة لاحقة عمل الرئيس الأسبق علي عبد الله صالح على إضعاف حلفائه من القوى السياسية والاجتماعية، وبخاصة الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر، شيخ قبيلة حاشد، الذي كان يشغل في الوقت ذاته رئيس مجلس النواب، ورئيس الهيئة العليا لحزب التجمع اليمني للإصلاح، وكذلك الفريق علي محسن الأحمر، قائد الفرقة الأولى مدرعات قائد المنطقة العسكرية الشمالية الغربية، وأحد أهم أركان نظام حكمه، وكبار الضباط المرتبطين به، ثم حزب التجمع اليمني للإصلاح، مقابل توسيع حضور أبنائه وأقاربه في مفاصل الدولة، خصوصًا المؤسسة العسكرية والأمنية، وقد أفضى ذلك إلى تفكك النخب السياسية والعسكرية لنظام الرئيس الأسبق، وتحول العلاقة فيما بين الأقطاب الرئيسة لحكمه إلى التنافس والصراع، مقابل بروز كيانات ما دون الدولة، كجماعة الحوثي والحراك الجنوبي، وتوسع الاستقطاب السياسي الحاد.

أدت طريقة إدارة النظام للواقع السياسي، إلى بروز جماعة الحوثي وتحولها إلى قوة سياسية مؤثرة، بسبب طريقة إدارة النظام لحروبه مع جماعة الحوثي، التي اتضح فيما بعد-وخصوصًا من الجولة الخامسة للحرب- أن هذا كان أحد أهداف النظام، فلم يكن لديه جدية في استخدام الحل العسكري لحسم هذه القضية، بل على العكس من ذلك حرص على إبقائها قضية مشتعلة لتحقيق أهداف داخلية؛ تتمثل في محاولة إضعاف قوة اللواء علي محسن الأحمر، لتهيئة الأجواء لتوريث السلطة للنجل الأكبر للرئيس، وإيجاد قوة فكرية وسياسية توازي قوة (حزب الإصلاح)، إضافة إلى أهدافه الخارجية من هذه الحرب المتمثلة في ابتزاز دول الجوار، وخاصة المملكة العربية السعودية، ولهذا كلما كانت الحرب توشك على القضاء على التمرد الحوثي وحسم الحرب، تصدر أوامر مباشرة من (صالح) بإيقافها، وبعد هدنة يُمنَح فيها الحوثيون الفرصة لالتقاط أنفاسهم وإعادة ترتيب أوضاعهم، تندلع الحرب من جديد[7].

2 - الانكفاء السعودي والتقدم الإيراني

منذ أواخر ستينيات القرن الماضي كانت المملكة العربية السعودية هي الداعم الرئيس للنظام السياسي في شمال اليمن، والطرف الأكثر نفوذًا فيه، كما كانت السعودية تتمتع بنفوذ كبير في الأوساط الرسمية والشعبية على السواء، ومع نهاية الثمانينيات خفت الحضور السعودي بسبب تراجع التحديات الأمنية التي يمكن أن تعترض السعودية من قبل اليمن، ومن أهمها التمدد الاشتراكي الجنوبي في شمال اليمن.

في عام 1991م، وقعت اليمن في فخ الاستقطابات الإقليمية؛ نتيجة موقفها من غزو العراق للكويت، ورفضها الانخراط في التحالف الدولي الذي تبنى الحرب لإخراج

الجيش العراقي من الكويت عام 1991م، ونتيجة لهذا الانخراط توترت علاقة اليمن بالمملكة العربية السعودية ودول مجلس التعاون الخليجي بشكل عام، وتبنت هذه الدول عددًا من العقوبات تجاه اليمن، إذ حُرم اليمنيون من الاستثناء الذي كانوا يتمتعون به في البقاء في الأراضي السعودية بدون كفيل محلي، وهو ما أدى إلى عودة ما يقرب من مليوني عامل يمني، كما حُرِم اليمن من المعونات الاقتصادية والقروض والمساعدات التي تقدمها الدول الخليجيةَ والجهات المانحة الغربية، وكان لهذا الموقف نتائج كارثية على اليمن في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأمنية.

وكرد فعل اتخذت المملكة وبقية دول الخليج العربي- باستثناء دولة قطر- مواقف سلبية من الحرب الأهلية اليمنية التي جرت صيف عام 1994، حيث تبنت موقفًا متعاطفًا وداعمًا سياسيًّا وحتى عسكريًّا للحزب الاشتراكي اليمني، وتعاونت معه في مساعيه لفرض انفصال جنوب اليمن، وعملت على تدويل الأزمة اليمنية ورفعها إلى مجلس الأمن؛ لقطع الطريق أمام الجيش اليمني الذي كان في حالة سباق لفرض وجوده

والقضاء على الانفصال. وبعد الحرب اتجهت العلاقة بين اليمن والسعودية نحو مزيد من التدهور، وفرضت السعودية ودول الخليج على اليمن ما يشبه الحصار والعزلة، واستمر هذا الوضع حتى قدّمت القيادة اليمنية تنازلات كبيرة في ملف الحدود المشتركة مع السعودية، من خلال التنازل عن الادعاءات اليمنية التاريخية في مناطق واسعة جنوب المملكة العربية السعودية، والتوقيع في جدة بالمملكة العربية السعودية عام 2000 على «اتفاقية الحدود».

ومع هذا تراجع الدعم السعودي باليمن مع مطلع 2010، وبنهاية ذلك العام دخلت المنطقة في احتجاجات الربيع العربي، وسريعًا ما انتقلت إلى اليمن، غير أنه لغياب عامل المباغتة، وللتحفز والاستعداد المسبق للنظام، هيمن الجمود على مسار الثورة الشعبية في اليمن. وتجنبًا لمخاطر انزلاق البلاد إلى أتون حرب أهلية قد تكون لها تداعيات أمنية خطيرة على السعودية والمنطقة، عاد الاهتمام السعودي باليمن من جديد، وقدمت السعودية -من خلال مظلة مجلس التعاون الخليجي- مبادرة أطلق عليها المبادرة الخليجية، ومارست ضغوطًا كبيرة لترجمتها على الواقع من خلال نقل السلطة من الرئيس السابق إلى نائبه.

وعلى الرغم من جهود القيادة السعودية في إتمام التسوية السياسية، وحرصها على عدم انزلاق اليمن إلى حرب أهلية مدمرة، حفاظًا على أمنها فإنها ارتكبت خطأً إستراتيجيًّا عندما ضغطت نحو منح صالح حصانة تحمية وتبقيه في الملعب السياسي والمشاركة في الحكومة، وهو ما أبقى البلاد في حالة من الانقسام السياسي والعسكري، وحال دون بناء سلطة واحدة تدير البلاد، وأوجد فراغًا أمنيًّا كان دوره حاسمًا في تمكين الحوثيين من السيطرة على صنعاء ومناطق واسعة من اليمن عام 2014.

وبمجرد نقل السلطة من الرئيس السابق علي عبد الله صالح إلى نائبه عبد ربه منصور هادي شهد الدور السعودي في اليمن تراجعًا واضحًا، فقد تركت الرياض الرئيس الجديد وحيدًا يواجه التحديات الاقتصادية والأمنية والسياسية التي كانت تتعاظم بفعل الإرباك الناتج عما يُعرَف بالدولة العميقة التي كانت في حالة تبعية للرئيس الأسبق صالح.

وعلى عكس الدعم الإيراني للحوثيين الذين كانوا يفتعلون الأسباب لخوض معارك وحروب مع أطراف اجتماعية وسياسية تمكنهم من السيطرة على مناطق جديدة، لم تقدم السعودية دعمًا كافيًا للقوى التي كانت ترغب في التصدي للحوثيين وإيقاف زحفهم، بل ويمكن القول: إن الدور السعودي تحوّل في أحيان كثيرة إلى عبء على القريبين منها أو المحسوبين عليها، فأنصار المشروع الإيراني يسوّغون التدخل الإيراني في اليمن بوجود

التدخل السعودي، وفي حين أن التدخل الإيراني كان- ولا يزال- فاعلاً وناشطًا، ويعمل على استثمار كل فرصة سانحة لتوسيع نفوذه، نجد أنَّ الدور السعودي لم يكن كذلك[8].

3 - الاتفاق النووي مع أمريكا والتسهيلات السياسية

وفّر توقيع الولايات المتحدة والقوى الكبرى على الاتفاق النووي مع إيران في عام 2015 غطاءً سياسيًّا للمشروع الإيراني في المنطقة، إذ لم يقتصر-بحسب ما يبدو- على التوافق بين طرفي الاتفاق النووي على قضية إيران النووية فحسب، بل شمل تفاهمات أخرى مباشرة وغير مباشرة تتعلق بنفوذ إيران الإقليمي، وقد أسهم التساهل الأمريكي في عهد أوباما إزاء التدخلات الإيرانية في العراق وسوريا، فضلاً عن التركيز على هدف القضاء على تنظيم (القاعدة) في اليمن كأولوية إستراتيجية عليا على حساب مواجهة تنامي النفوذ الإيراني على الساحة اليمنية- في إتاحة الفرصة لإيران لتكثيف أنشطتها التدخلية في اليمن[9].

4 - السابع من أكتوبر والاقتراب الإيراني من باب المندب

أقدمت جماعة الحوثي بعد الهجوم الإسرائيلي على غزة في السابع من أكتوبر 2023، على ضرب السفن المتجهة إلى «إسرائيل»، محاولةً تشكيل ضغط على الكيان الإسرائيلي لإيقاف هجماته التي تستهدف غزة. هذا النشاطَ الحوثي المتسارع في البحر الأحمر دفع وزير الدفاع الإيراني أمير أشتياني في ديسمبر/ كانون الأول 2023م للقول: إنّ البحر الأحمر جزء من «منطقتنا»، ولا يوجد به مكان لقوات من خارج المنطقة، وبهذا وجدت إيران في هذا الحدث فرصة لتحقيق تطلعها في السيطرة العسكرية على مضيق باب المندب، وتوسيع نفوذها في البحر الأحمر.

هذا النفوذ في الضفة الشرقية للبحر الأحمر تزامن مع المحاولات الإيرانية للنفوذ في المنطقة الإفريقية، حيث تعلن إيران بشكل صريح دعمها السياسي للدول الإفريقية للتخلص من النفوذ الغربي والفرنسي بالتحديد، وتبحث عن أصدقاء لها في شرق إفريقيا[10]، كما تسعى لتعزيز تعاونها العسكري في الضفة الثانية للبحر الأحمر، وخصوصًا في السودان وأرتيريا وجيبوتي، منطلقة من الشعارات ذاتها التي تنطلق منها أمريكا في بناء وجودها في المنطقة، مثل تأمين الممرات المائية، وتأمين الملاحة الدولية، ومحاربة القرصنة.

التقدم الحوثي في تنفيذ هجماته المختلفة على السفن الغربية، وإن اختلفت دوافعه بين الشعارات المعلنة لكل من إيران والحوثي، إلا أنه يسهم في النهاية في تحقيق الأهداف الإيرانية؛ لهذا أعلنت إيران على لسان قائد البحرية في الحرس الثوري الإيراني أنّ

«الاستغلال الأجنبي للموارد الإيرانية مع الإفلات من العقاب قد انتهى»[11]، هذا الإعلان يخدم كذلك الإستراتيجية الإيرانية التي تسعى لأفول نظام القطبية الواحدة، ولهذا تتهم واشنطن إيران بالمشاركة في التخطيط للعمليات العسكرية ضد السفن التجارية في البحر الأحمر[12].

بناء على ذلك، يتضح أنّ لهذه الأحداث دورًا مهمًّا في تعزيز العلاقة بين إيران وجماعة الحوثي، استطاعت معها جماعة الحوثي التي كانت ربما متأخرة عن قريناتها من الجماعات الموالية لإيران في المنطقة- أن تصبح الجماعة الأولى، نتيجة تحكمها العسكري بمضيق باب المندب، بوصفه من أهم الممرّات البحرية في العالم، وبهذا تعزّز موقع جماعة الحوثي لدى إيران، كما تعزّز موقعها السياسي والعسكري في المنطقة.

ثالثًا: مستقبل العلاقة بين إيران وجماعة الحوثي

سبق ذِكر أنّ المشروع الإيراني يقوم على نظرية «ولاية الفقيه»، وهي فكرة مركزية عابرة للحدود الإيرانية، ولها ارتباط بالجغرافيا الشيعية أينما كانت، باعتبار أن إيران تشكل الركيزة الأساسية للنظام الشيعي، وفي سبيل تحقيق هذا الطموح سعت إيران إلى تعزيز عدد من النظريات الجيوبوليتيكة، وتأتي في مقدمتها «نظرية أم القرى» التي سبق التطرق إليها، ثم «نظرية القومية الإسلامية» وتسعى هذه النظرية لاستيعاب المسلمين جميعًا، وهي نظرية عابرة للمذهبية، وتهدف إلى استمالة الدول ذات البعد القومي: مثل آسيا الوسطى والقوقاز وجنوب شرق آسيا، التي تشترك مع إيران في أبعاد قومية، بالإضافة إلى «نظرية دولة المهدي العالمية» وهي الدولة الأم التي تطمح لها إيران، وتسعى إلى تهيئة العالم من أجلها، ثم نظرية «الشرق الأوسط الإسلامي» وهي نظرية تسعى لمواجهة مشروع الشرق الأوسط الأمريكي.

هذه الدوافع الإستراتيجية والنظريات السياسية تعززها المقومات الحضارية والدينية والمذهبية والجيوسياسية الإيرانية، فإيران لها ارتباط وثيق بالحضارة الفارسية، وترى أنّ لها خلفية تاريخية يمكنها الاستفادة منها، كما أن الموقع الإستراتيجي لإيران يجعل منها حلقة وصل بين أوربا وآسيا، وهذا يؤهلها لأداء دور إقليمي في المنطقة كما ذكرنا آنفًا.

بناء على ذلك، فإنّ إيران تسعى بكل قوتها إلى تعزيز قدراتها الذاتية، وتمكين دورها الإقليمي، وتحقيق طموحها؛ لتكون قوة إقليمية في عالم متعدد الأقطاب، ولهذا سعت لتمكين أدواتها في المنطقة، وتوسيع دائرة الاستقطاب لتشمل حتى التيار السُّنيّ، والبحث عن مشتركات مع تيار اليسار العربي، واللعب من خلال هذه الأدوات في تحقيق أهدافها

الإستراتيجية، وتشكيل أوراق ضغط متعددة، كان آخرها النفوذ في منطقة باب المندب والبحر الأحمر.

وممّا ساعد إيران على هذا التوسع حالة الضعف العربي، والتوجه الرسمي العربي لإعاقة مخرجات احتجاجات 2011، أما على المستوى اليمني فقد استجابت لإيران جماعة الحوثي نتيجة خلافها مع النظام الحاكم سابقًا، ورغبتها في الوصول إلى الحكم، إضافة إلى دعم إيران المعلن للقضية الفلسطينية ليكون مدخلاً لرفع راية الممانعة في المنطقة، وتسويق نفسها ناصرة للمستضعفين، وهذا ما يمثل نقطة مركزية في التقارب مع الحوثي، الذي ينطلق في ظاهر شعاراته من قضية العداء لأمريكا و»إسرائيل».

إنّ هذه العلاقة أتاحت للحوثي الاستفادة من الدعم السياسي والعسكري الإيراني، ثم تسويقه لدى الدول المعارضة للهيمنة الأمريكية في المنطقة كروسيا والصين. ولكن مع هذه الفرص الإيجابية بينهما فإنّ العلاقة بين إيران والحوثي تواجه عددًا من التحديات، من أهمّها:

1 - التباين المذهبي بين الزيدية والاثني عشرية، فكما تنطلق النظرية السياسية الإمامية من فكرة اثني عشر إمامًا كأصل للنظرية الإمامية في الحكم، ثم تأسيس ولاية الفقيه كرؤية مؤقتة للحكم، فإنّ الفكرة الزيدية تقوم على إمكانية قيام أي إمام من ذريّة الحسن بن علي أو الحسين بن علي في أي عصر، بمعنى أنّ المذهب الزيدي يستمد مركزيته السياسية من ذاته المستقلة، لا من الولاء للنظرية السياسية الاثني عشرية.

2 - يعتمد الحوثيون على إرث تاريخي، ومذهب سياسي، وموقع جغرافي، يمكنهم من إقامة نظام مستقل في المستقبل، قد لا يخضع بالتبعية لإيران، وإنما يصبح ندًّا لها.

3 - لا تزال هناك مرجعيات علمية زيدية تعارض فكرة ولاية الفقيه، مثل العلامة الزيدي محمد عبد العظيم الحوثي، الذي أسِّس جزء من خلافه مع عبد الملك الحوثي على رفض التدخل الإيراني في اليمن، واتّهام عبد الملك الحوثي بتنفيذ الأجندة الإيرانية.

4 - لا يزال المشروع الإيراني يواجه رفضًا يمنيًّا كبيرًا رسميًّا وشعبيًّا، إذ ترتب على وجوده دخول اليمن في صراع واستقطاب حاد، أفقد اليمن استقراره السياسي، ووأد توجهات اليمنيين نحو التغيير التي انطلقت في عام 2011.

بناء على ذلك، فإنّ المشروع الإيراني في اليمن قد يتقلص دوره على المنظور البعيد، خصوصًا إذا استطاعت جماعة الحوثي تأمين حلفاء أكثر انسجامًا مع المزاج الشعبي العام، وخشية من الدخول في موجة جديدة من الصراع الخشن مع الحكومة اليمنية، وبدعم دولي وإقليمي مكثف لإضعاف الجماعة، وسيناريو المواجهة الخشنة إذا أصبح واردًا في المستقبل فإنه قد يدفع الجماعة لإعادة ضبط علاقتها بالجانب الإيراني تهرّبًا من ضريبة الولاء لإيران.

خاتمة

استطاعت إيران خلال السنوات السابقة أن يكون لها حضور كبير في اليمن، ونجحت في استغلال حالة الهشاشة والضعف التي تعانيها الحكومة الشرعية اليمنية، بالإضافة إلى الفراغ الذي تعيشه المنطقة، وغياب المشروعات الإستراتيجية، وضعف الدولة الوطنية، وحاجة جماعة الحوثي إلى داعم إقليمي... وقد تمكنت من نسج علاقة متقدمة بالجانب الحوثي.

هذه العلاقة على الرغم من أهميتها فإنها لا تزال تواجه تحديات متعددة، قد تؤثر في مسارها المستقبلي، ولهذا تختلف الإستراتيجية الإيرانية في اليمن بعض الشيء عنها في كل من العراق وسوريا ولبنان؛ حيث تتسم تجاه اليمن بالغموض والخصوصية، ويعود ذلك إلى عدم وجود قاعدة شعبية اثني عشرية كافية تساعد على تحقيق الولاء الإستراتيجي الكامل لإيران.

الهوامش والمراجع:

1. - فراس إلياس، الجيوبوليتيك الشيعي والمخيلة الجيوستراتيجية الإيرانية، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، الطبعة الأولى، 2015، ص5.
2. محمد حسن القاضي، الدور الإيراني في اليمن وانعكاساته على الأمن الإقليمي، مركز الخليج العربي للدراسات الإيرانية، ص35.
3. عاتق جار الله، علاقة صالح والحوثي: تنسيق تكتيكي أم تحالف استراتيجي؟ المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 20 ديسمبر/كانون الأول 2016، تاريخ الاطلاع 1/ 5/ 2024، على الرابط: https://2u.pw/hLkG7S09
4. عادل الأحمدي، الزهر والحجر: التمرد الشيعي، مركز نشوان الحميري للدراسات، صنعاء، ط2، 2007، ص177.
5. اليمن: اعتقال خلية تجسس إيرانية يديرها قيادي بالحرس الثوري، موقع الآر تي، 19 تموز/يوليو 2012، تاريخ الاطلاع 10/5/2024، على الرابط: https://2u.pw/BhyEM3CF
6. ضبط 48 طن أسلحة بسفينة إيرانية باليمن، الجزيرة نت، 9/2/2013، تاريخ الاطلاع 1/5/2024، على الرابط: https://2u.pw/Q6IwgoNj
7. عاتق جار الله، علاقة صالح والحوثي: تنسيق تكتيكي أم تحالف إستراتيجي، مرجع سابق.
8. ناصر محمد الطويل، إيران والثورة اليمنية، المركز اليمني للدراسات الإستراتيجية، 1/5/2016.، ص17.
9. محمد حسن القاضي، الدور الإيراني في اليمن وانعكاسه على الأمن الإقليمي، مرجع سابق، ص-62 63.
10. INTELBRIEF, IntelBrief: Iran Looks to East Africa for More Friends, (18/07/2023), https://2u.pw/YYB00lAX
11. INTELBRIEF, IntelBrief: Iran Looks to East Africa for More Friends, (18/07/2023), https://2u.pw/YYB00lAX
12. Natasha Bertrand, US intelligence suggests Iran is involved in planning attacks in Red Sea, (23/12/2023), https://2u.pw/WmOgYLeE

العلاقات التركية القطرية

في ظل التوازنات الإقليمية

محمود سمير الرنتيسي

Turkish-Qatari Relations

In light of the Regional Balances

Mahmoud Al-Rantisi

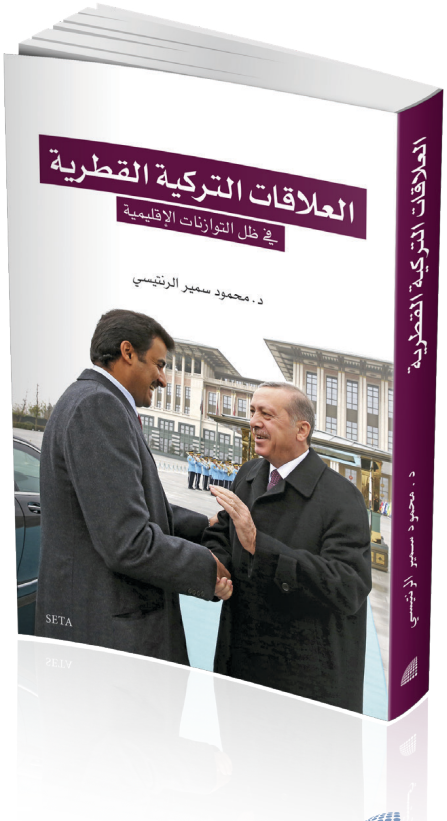

setavakfi setadc setav setavakfi
www.setav.org/en • books@setav.org

SETA